دلالات مصطلح الشهوة في سياقات النصّ القرآني

"دراسة تحليلية "

الطالب: عبد الفتاح عبد المجيد عرَّان[421].

د. سامر ناجح عبد الله سمارة[422]

الملخَّص

تُعَدُّ الشَّهوة من القضايا البارزة التي سلَّط القرآن الكريم الضوء عليها؛ لأَهمِيّتها في الجانب الإيجابي، ولخطورة أَثرها الجانب السَّلبي، وقد عدَّد القرآن الكريم المشتهيات الرئيسة التي يسعى الإِنسان للحصول عليها من أَجل الاستمتاع والتَّلذُّذ بها؛ وتكمن إِشكالية البحث في اعتقاد البعض أَنَّ الشهوة طاقة سلبية صرفة يجب كبتها والتَّخلص منها؛ لأَنَّها جالبة للفساد، مسبِّبة للخراب، وانطلاقا من هذه المشكلة قام الباحثان بدراسة الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الشهوة تصريحًا أَو تلميحًا للإِجابة على الأسئلة الآتية: هل الشهوة عنصر شرٍّ موجود في الإِنسان يجب التَّطهر منه؟ وهل الشَّهوة على صورة واحدة أَم هي صور متعدِّدة ؟ وما هي الآثار السَّلبية والإِيجابيَّة لطاقة الشَّهوة في النَّفس البشرية؟ وفي سبيل الإِجابة على هذه الأسئلة سيتبع الباحثان المنهج الاستقرائي لجمع الآيات التي تتحدَّث عن القضية، والمنهج التحليلي للكشف عن معاني المصطلحات التي وردت فيها الشهوة في الآيات القرآنية.

كلمات مفتاحية: الشهوة، الدنيا والآخرة، طاقة سلبية، النَّفس البشرية.

(7) انظر: الزحيلي، وهبة. 1418هـ. *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر. ج. 9. ص. 201.

(8) القرآن. النساء: 1:4

تمهيد

إن الحديث عن الشهوة في سياق النص القرآني وتهذيبها، هو في حقيقته تهذيب وتكريم لبني آدم، إعلاناً من الخالق جل وعلا في تكريم هذا الإنسان، مصداقاً لقوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾[423]، كرّمه بخلقته على تلك الهيئة، وبهذه الفطرة التي تجمع بين الطين السفلي والنفخة العليا، فاجتمعت الأرض والسماء في ذلك الكيان، كما كرّمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبل به الوجود، وبذلك الموكب الذي أسجد له فيه الملائكة.[424]

ومن دلائل تكريم الله تعالى لهذا الإنسان على غيره من المخلوقات، أَنَّه سبحانه وتعالى خلق الخلق على ثلاثة أضرب: خلق الملائكة وركبَّ فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة، وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل، وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة، فمن غلبت شهوتُه عقلَه فالبهائم خير منه، ومن غلب عقلُه شهوتَه فهو خير من الملائكة، فمن هذب شهوته صار في المنزلة عند الله فوق الملائكة، ومن سيطرت عليه شهوته وتحكمت به صار أحط من البهيمة.[425]

ولأهمية دراسة الشهوة في سياق النص القرآني، قسَّم الباحثان هذه الدراسة إلى مبحثين، الأول: فطرية الشهوات وفوائدها الدنيوية والآخروية، والثاني: أنواع الشهوات ومآلات اتباعها والدلالات المستفادة منها، وذلك كالتالي:

المبحث الأول: فطرية الشهوات وفوائدها في سياقات النصّ القرآني

مما لا شك فيه أن الإسلام هو دين الفطرة، جاء ليبيّن مسارها الصحيح ويقيمها عليه، لأن خالقها هو الذي نزّل هذا الدين، وفصّل فيه منهج الحياة، وإنَّ من أعظم نتائجها وأكبر فوائدها هو: معرفة خالقها والإيمان به، ومحبته وتوحيده، والإستعداد التام لقبول دينه الذي ارتضاه وهو الإسلام.[426]

ومتى عرف المسلم أن الفطرة هبة من الله، وأنه مطبوعٌ عليها منذ وجوده، وأن النفس البشرية جُبلت بطبيعتها الفطرية على الميل إلى حب الشهوات، عرف أن دورها الأساسي في حفظ الحياة وامتدادها، هو ضمانٌ لسلامة الكائن الإنساني من هذا الصراع بين شطري النفس البشرية وبين نوازع الشهوة واللذة، وذلك في حدود التوسط والاعتدال في قبول الحق والدين

(9) الزحيلي، وهبة.(المصدر نفسه).
(10) القرآن. النجم: 53: 45-46
(11) القرآن. القيامة: 39:75
(12) الزحيلي، وهبة.(المصدر نفسه).بتصرف

الصحيح.(427) ما يثبت أن لهذه الفطرة فوائد دنيوية وفوائد أخروية، يعرضها الباحثان من خلال تتبّع مصطلح الشهوة في سياق النص القرآني وتحليله في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول : الفوائد الدنيوية للشهوة: ويتناول الباحث عرضه في الفرعين التاليين:

الفرع الأول: بقاء النوع الإنساني:

إن ديننا الحنيف جعل لبقاء النوع الإنساني غايات وأهداف نبيلة، ينطلق الإنسان منها بفطرته السليمة، من أجل التناسل والمحافظة على بقاء هذا النوع، هذه الغاية العظيمة يوضحها الباحث في عدّة مراحل:

أولاً: السكن النفسي: وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في بيان حقيقة آدم عليه السلام، وحقيقة الخلق كله من بعده، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا.. ﴾[428] " والمراد بالنفس الواحدة: آدم عليه السّلام، ثم خلق منه زوجته حواء، ثم انتشر الناس منهما". (429) وبهذه الألفة و هذا التعاون تتحرك عجلة الحياة في عمارة الأرض في التناسل والتكاثر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ثانياً: المحافظة على النوع الإنساني: قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها، وَبَثَّ مِنْهُما رِجالًا كَثِيراً وَنِساءً﴾(430) "انتشار الناس لبقاء النوع الإنساني والمحافظة عليه مرهون بهذا الترابط بين الجنسين: الذكر والأنثى".(431) قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾ (432)، وقوله تعالى:﴿ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾(433) هذا التآلف قائم في أعماق كل من الرجل والمرأة، ولا نجد ألفة بين روحين أعظم

---

(13) ينظر:شلبي، سلوى.*إسهامات الأسرة في تربية الإبداع لدى أطفالها من منظور التربية الإسلامية*.ص 38.

(14) القرآن. الحجرات: 13:49

(15) أنظر: علي عبده شاكر. *التربية الأسرية المتضمنة في سورة النساء*. ص 38.

(16) سنن أبي داود، كتاب: النكاح، باب: تزويج الأبكار، حديث رقم:2050، ط: 1،الناشر: دار الرسالة العالمية، د:م 1430هـ/2009م، (395/3)، وكذا المستدرك على الصحيحين للحاكم، حديث رقم: 2685، ط:،1 بيروت: دار الكتب العلمية، 1411هـ/1990م، 176/2

(17) صحيح البخاري، *كتاب النكاح، باب: من استطاع منكم الباءة فليتزوج*، حديث رقم: 5065، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر،ط:1 ، الناشر: دار طوق النجاة، د:م، 1422هـ (3/7).

(18) قطب، سيد ،في ظلال القرآن. آية 76 تفسير سورة آل عمران.

(19) القرآن. آل عمران: 76:3.

مما بين الزوجين، والجنس ميال بطبيعته إلى جنسه، ولا تسكن النفس إلا بالاقتران بزوج آخر، فبالزواج يستمر بقاء النسل الإنساني، إذ لولا وجود هذه الشهوات لضَعُفَ هذا المبتغى في بقاء النوع الإنساني. (434)

ثالثاً: المحافظة على الأنساب: عن طريق الزواج الشرعي يأخذ الإبن نسب أبيه، فيشعر الأبناء بالإستقرار النفسي والكرامة الإنسانية، ممَّا يعينهم على الإنتاج والإبداع في جميع مجالات حياتهم.(435) وهو ما أخبر به جل وعلا في كتابه العزيز قال تعالى:﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(436)

رابعاً: الرغبة في الأولاد: وتأتي رغبة الولد بعد الزواج، فقد رغّب الإسلام في التناكح والتناسل وكثرة الأمّة، وحث عليه، ونهى عن الخصاء وهجر النساء تبتلاً، والأحسن والأولى أن يتزوج الولود الودود،(437) مصداقاً لما أمر به النبي محمدﷺ بقوله" تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم."(438)

وأخيراً يبين الصادق المصدوق محمد ﷺ الحكمة الخُلقية في حث الشباب على الزواج، خوفاً في الوقوع في المعصية إذا كان يستطيعه ولا يكسر شهوته إلا به، قال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»(439)

الفرع الثاني: نيل رضى الله ومحبة الناس: إن من أعظم القربات عند الله أن ينال العبد رضاه ومغفرته ورحمته، فهي قاعدة واحدة من راعاها وفاءً بعهد الله وشعوراً بتقواه أحبّه الله وأكرمه،(440) قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

---

(20) قطب، سيد ،في ظلال القرآن. آية 76 تفسير سورة آل عمران.

(21) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ط1، 1410هـ. *تفسير القرآن الكريم*. بيروت: دار ومكتبة الهلال

(22) القرآن. القصص : 50:12.

(23) قطب، سيد ،في ظلال القرآن. آية 50 تفسير سورة القصص.بتصرف

(24) قطناني، أحمد عبد القادر،2011م، *منهج القصة القرآنية في تهذيب الشهوات*.(رسالة ماجستير).فلسطين:جامعة النجاح الوطنية.ص.43.بتصرف.

(25) القرآن. النحل: 97:16

(27) البخاري، محمد بن إسماعيل، *كتاب بدء الخلق*،باب ذكر الملائكة، برقم 3209

الْمُتَّقِينَ﴾(441)، وهي نظرية الإسلام الأخلاقية بصفة عامة، في الوفاء بالعهد وفي سواه من الأخلاق: فالتعامل أولا مع الله، يلحظ فيه جناب الله، ويتجنب به سخطه ويطلب به رضاه. (442)

وإذا ما خالف المؤمن هواه طمعاً بثواب الله والخشية من حجابه وعذابه، وجد حلاوة الشفاء في مخالفته لهواه لا محالة، فإن متابعة الهوى الداء الأكبر، ومخالفته الشفاء الأعظم.(443)، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾(444)،

فهما طريقان لا ثالث لهما : إما إخلاص للحق وخلوص من الهوى، وعندئذ لا بد من الإيمان والتسليم، وإما مماراة في الحق واتباع للهوى فهو التكذيب والشقاق. إذ لا حجة من غموض في العقيدة، أو ضعف في الحجة، أو نقص في الدليل. (445)

ومن أهم نتائج ضبط المؤمن لشهوته، ومخالفته لهواه، ونيل رضا الله له في الآخرة، ما يلي:

أولا: يعيش أفراد المجتمع الإسلامي نظيفاً معافىً من الرذيلة.

ثانياً: تهذّب نفوسهم باطناً وتستقيم طباعهم ظاهراً.

ثالثاً: لا يتحرك في نفوسهم نوازع الميل إلى الجنس الآخر، عند قراءة آيات قصص القرآن الكريم التي تتحدث عن شهوة الجنس، لعلمهم بأن القرآن الكريم يريد تهذيب تلك الشهوة، وليس إثارتها. (446)

ولهذا الرقي في تهذيب الشهوة وضبطها بالضوابط الشرعية نتائج أهمها:

---

(28) قطناني، أحمد عبد القادر(المصدر السابق).

(29) القرآن. فصلت: 31:41

(30) القرآن. الأنبياء: 102:21

(31) القرآن.الطور: 22:52

(32) ينظر الطبري. *جامع البيان في تأويل القرآن*. ج18.ص541/ الزمخشري. *الكشاف عن حقائق التأويل*. ج4.ص.262

(33) القرآن.السجدة: 17:32

أولاً: يعيش المجتمع وأفراده حياة طيبة، فتُغرس محبَّتهم في قلوب العباد، ويقذف الله في قلوبهم النور ويزدادوا إشراقاً وتألُّقاً، قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[447].

ثانياً: القبول في الأرض، وهي المكافأة الأعظم أن يتجاوز الله عنهم سيئاتهم في الآخرة، ويوضع لهم القبول في الأرض. قال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ- قَالَ- ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ...)الحديث.[448]

لهذه النتيجة العظيمة ولهذا العفو والمحبة من الله والفوز في الآخرة، وتكفير السيئات، أودع الله هذه الفطرة السليمة، من حب الشهوات، (من النساء والبنين والأموال..) وغير ذلك من المحبوبات على قلب المسلم،لأجل (التكاثر والتناسل وبقاء النوع الإنساني)، وجعلها كوسيلة في تقوية علاقة هذا المخلوق الإنساني بخالقه، وعلاقته بالكون المحيط به، وأخيراً علاقته بغيره من بني البشر، شريطة أن تكون هذه الشهوات مضبوطة بالضابط الشرعي، فتكون المكافأة بحياة طيبة وقبول في الأرض.

المطلب الثاني : الفوائد الآخروية لضبط الشهوة: ويعرضه الباحث في الفرعين التاليين:

الفرع الأول: حصول وعد المتقين بمراقبة العبد لله والخوف منه: إن مراقبة الله ودوام الخوف منه من أعظم الوسائل لتهذيب الشهوة واجتناب المحضورات، والذي يضبط شهوته في الدنيا ويهذّبها ويتحكم بها وفق شرع الله ومنهجه، له المكافأة، والظفر بها، والفوز في جنة عرضها السموات والأرض.[449]

والآيات والآحاديث التي تبين وعد المتقين وما أعدّه الله لهم من النعم بعد دخولهم الجنة تكاد لا تحصى، منها:

1- قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾[450]

(34) البخاري، محمد بن إسماعيل. *صحيح البخاري*. (11/ 308/ 6474) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

(35) القرآن. النحل: 97:16

(36) القرآن. آل عمران :30:3

(37) القرآن. القيامة:13:75

2-قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾[451]

3-وقوله تعالى : ﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾[452]

تبين أقوال السابقين من أهل التفسير كالطبري والزمخشري وغيرهم أن هذه الآيات قد جمعت ما أعده الله لهذا الإنسان في الآخرة، إذ جعل في الجنة شهوات طيبةً مباركةً عظيمةً بليغةً، يكافئ بها أهل طاعته، وينعم عليهم بلذاتٍ مما تشتهي الأنفس، ولا يخطر على قلب بشر. (453) وفي الحديث القدسي تأكيداً على ما أعده الله لعباده الصالحين بعد دخولهم الجنة، من حديث أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال " : قال الله تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال أبو هريرة : فاقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.[454] و حديث سهل بن سعد – رضي الله عنه — عن رسول الله ﷺ قال : " من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة " [455]

الفرع الثاني: حصول الطهارة والتزكية واجتناب الخواطر السيئة

تحقيق الطهارة بمعناها الحسي هو تحقيق لمنهج الحياة الطيبة باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[456]. ارتقاء المؤمن لهذه الحياة الطيبة يكمن في ضبط النفس وتطهير القلب وتخليصه من الشوائب وارتكاب المعاصي وإلجام النفس بلجام التقوى، ليحصد نتيجة الثمار الطيبة ما أعده الله له يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[457]، إنه الميزان الرباني أمام جبار السموات والأرض لجميع أعمال العبد يوم القيامة من خير وشر كما قال تعالى: ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾[458]، فما رأى

(38) الصابوني، محمد علي. 1402هـ / 1981م. *مختصر تفسير ابن كثير*. ط7. بيروت: دار القرآن الكريم. ج1. ص276.بتصرف

(39)القرآن. الشمس: 91: 9-10.

(40) محمد الغزالي، خلق المسلم، دط، ص15.

454() الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي — الخواطر*.الناشر: مطابع أخبار اليوم ج. 3. ص. 1311.

455() القرآن. آل عمران: 3: 13

456() الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي — الخواطر*.الناشر: مطابع أخبار اليوم ج. 3. ص. 1311.

457() القرآن. الروم : 30-21

458() الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي — الخواطر*.الناشر: مطابع أخبار اليوم ج. 3. ص. 1318.بتصرف

من أعماله حسناً سرّه ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيحٍ ساءه وغصهِ، ويعلم بأنه لا نجاة لهذه النفس إلا بنهيها وانتصارها على هواها، وهذا أعظم انتصار على النفس بتقوى الله.[459]

أما حصول العبد للتزكية تعني تهذيب النفس باطناً وظاهراً، في حركاته وسكناته، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾.[460] ولهذه التزكية ثمرة و أثر واضح للفرد والمجتمع يجملها الباحث في النقاط التالية:

أولا: أثرها في سلوك الفردِ: لما تزرعه في نفس صاحبها من الرحمة، والصدق، والعدل، والامانة، والحياء، والعفة، والتكافل، والإخلاص، وغير ذلك من القيم والأخلاق السامية، فمتى تزكّت النفس وتهذّبت طباعها استقام السلوك الداخلي والخارجي لا محالة، فتهذيب الأخلاق بالنسبة للفرد هي أساس الفلاح والنجاح.

ثانياً: أثرها في سلوك المجتمع : من شأن تهذيب الشَّهوة أن تبني مجتمعاً محصناً لا تنال منه عوامل التردي والإنحطاط، وليس ابتلاء الأمم والحضارات كامناً في ضعف إمكاناتها المادية أو منجزاتها العلميّة، إنما في قيمتها الخلقية التي تسودها وتتحلى بها.[461]

ويخلص الباحثان إلى أنَّ نتيجة مراقبة العبد لله، و تزكيته، واعتصامه بربه، وتعفُّفُه في ضبط شهواته، وصبرُه على كل الشدائد، جاءت في جملتها تلبيةً لما أعده الله للمؤمنين في الآخرة، ومكافأةً لمن ضبط شهواته بالضوابط الشرعية، واستعملها في فعل الخيرات، أن يجعلُ الله جزاءه عزٌ في الدنيا و نعيماً في الآخرة.

المبحث الثاني: أنواع الشهوات ومآلات اتباعها في سياقات النصّ القرآني

تمهيد: الشهوة الجنسية والحكمة من خلقها:

إن المتأمل في موضع آية الشهوات وما أعدّه الله من أنواع الزينة من (النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحرث)، يجدها جاءت بعد الآية التي تتحدث عن الجهاد في سبيل الله، والتي تتطلب الإنقطاع إلى الله و خروج الإنسان المؤمن عما ألف من عادة تمنحه كل المتع.[462] قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التقتا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله وأخرى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ العين والله يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذلك لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأبصار﴾[463]،

459() الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي – الخواطر*.الناشر: مطابع أخبار اليوم ج. 3. ص. 1321.بتصرف

460() القرآن. آل عمران: 3-15

402() سيد قطب في ظلال القرآن. آية 14 سورة آل عمران. بتصرف

462() الشعراوي، محمد متولي. *(المرجع السابق)*.

463() القرآن. الأعراف: 7 - 32

إنه طريق الانتصارات المتجدد لأهل الإيمان، انتصاراً على متعة الشهوات في الحياة الدنيا،(في المتع التي أحلها الله، والمتع التي لا يرضاها الله)، والظفر في متعة الجهاد في سبيله وإعلاء كلمته. (464)

مما سبق يتبين للباحثين أن الحق سبحانه وتعالى خلق الخلق لمهمة إنسانية عظيمة، وأودع فيهم حب الشهوة، لأداء الغرض المطلوب بحيث تتحقق أهدافها المرسومة، ومن أهم هذه الأهداف:

أولاً: الميل لهذه الشهوات ضرورة لاستمرار الحياة بالتزاوج الدائم، الذي يريح الأعصاب، ويهيئ الجو النفسي والشعوري، إذ جعل الأنثى للذكر، وخلقها منه لهذا، قال تعالى :﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لتسكنوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (465)

إن الحق يريد لنا أن يسكن الرجل إلى حلاله، وتأخذ المرأة سكناً لها، لتمنع عَيْنَيْ زوجها عن أعراض الناس، وتعطيه ارتياحاً يملئه الحنان والعطف. (466)

ثانياً: ضمان بقاء الكون، بعدم تضحية المؤمن بشهوته الحقيقية وهي القتال في سبيل الله وإعلاء كلمته، بسبب الشهوات الزائلة التي تتمثل في "النساء، والبنين وغيرها من الشهوات، لأن إمكانات الإنسان في النعيم الدنيوي محدودة على قدر الإنسان، أما إمكانات النعيم في الآخرة فهي على قدر قدرة الخالق المربي، فمن المنطقي جداً أن يقول الله لنا: ﴿ ذلك مَتَاعُ الحياة الدنيا والله عِنْدَهُ حُسْنُ المآب﴾. وحسن المآب تعني حسن المرجع. (467)

بعد بيان الغاية والحكمة من خلق الشهوة يقسّم الباحثان هذه الشهوات إلى قسمين: شهوات فطرية دنيوية و شهوات فطرية آخروية وذلك من خلال تتبّع مصطلح الشهوة في سياق النص القرآني، وذلك في مطلبين:

المطلب الأول : شهوات فطرية مجبول عليها الإنسان

ويتناول الباحث عرضه في الفروع التالية:

464() الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي – الخواطر*.الناشر: مطابع أخبار اليوم ج. 3. ص. 1312.

465() القرآن. محمد:47 - 12

466() نوفل، أحمد. 2010. *سورة يوسف –دراسة تحليلية*. عمان–الأردن: دار الفرقان.ج1. ص614.بتصرف

467() القرآن. يوسف: 12-24

الفرع الأول:شهوات فطرية دنيوية : إن الحديث عن أنواع الشهوات الفطرية التي جُبلَ عليها الإنسان، جاء في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(468) ويرى الباحثان أن هذه الآية التي ذُكرت فيها أنواع الشهوات هي من باب ضرب المثال، وإلا فهناك شهوات فطرية أخرى مثل " شهوة البطن وشهوة الجاه وشهوة السلطان وغيرها"، ولعل الحكمة من ترتيبها وحصرها أنها الأقرب للنفس في الغالب.

إن جميع الشهوات التي يطلبها الإنسان كضرورةً للحياة البشرية (دنيويةكانت أو أخروية) قد أودعها الله كجزء من تكوينه الأصيل، فهي مركوزة في النفس، ميّالة إليها، موجودة فيها بطبعها، وفي النوعين لا بد من التوازن في ضبط النفس وعدم الاستغراق في لذائذها المحببة، حفاظاً على فطرتها السليمة. (469)

ويبين الباحثان أن لهذه الشهوة الدنيوية حقيقتان:

الأولى: إذاكان الميل لهذه الشهوات مما يؤكد حقيقة استبقاء الحياة فهو مطلوب ومقبول، وهو من الله، وله العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة،(470) قال تعالى:﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(471)

الثانية: إذاكان الميل لهذه الشهوات في الأمر الزائد على ما يحتاجه الإنسان، من المطعم والمشرب وغير ذلك مما يفسد الحياة، فهو من الشيطان.(472)، قال تعالى:﴿والذين كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأنعام وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾(473)

الفرع الثاني: شهوات فطرية آخروية: هذه الأنواع اختصها الله لعباده المخلصين في تزكية النفوس، والمحافظة على نزاهتها وطاعة ربها، وإرشادها لحياة فضلى في التكوين الروحي، والتطلع إلى ما هو أعلى في مستويات الحق والسمو. (474)، قال تعالى في حق نبينا يوسف عليه السلام:﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾(475) أي من

468() القرآن. ص: 38-47

469() حبنكة، عبد الرحمن حسن.ط10 ، 2015م، الأخلاق الإسلامية وأسسها. دمشق: دار القلم.ج1.ص179 بتصرف

470() حبنكة، عبد الرحمن حسن، (المصدر السابق). ص 24.بتصرف

471() حبنكة، عبد الرحمن حسن.(المصدر السابق).ج1.ص 39.

(59) حبنكة، عبد الرحمن حسن.(المصدر السابق).ج1.ص 16.

473() القرآن. النساء 4: 28

474() الشعراوي، محمد متولي. *تفسير الشعراوي – الخواطر*. ج. 4. ص. 2139.

475() القرآن. مريم 19: 59

عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم لوحيه ورسالته وصفّاهم من الشوائب، فلا يستطيع الشيطان إغواءهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيار﴾[476]

ويرى الباحثان في هذا النوع من أنواع الشهوات أصلاً في تربية النفوس تربية روحية لترتقي إلى سلّم الكمال السلوكي، لأن في السلوك الأخلاقي الأمثل هو ما كانت الغاية منه اكتساب مرضاة الله تعالى، لأن مرضاة الله لا تتحقق إلا بالخير، ولا تكون إلا في خير [477]، وهو ما يدفع المؤمنين إلى أن يتحلّوا بالفضائل الخلقية، "كالأخذ بالحق أو الخير أو الجمال، وإن خالف الهوى" ، وأن يتخلّوا عن الرذائل منها، "في ترك الباطل والشر والقبح ، وإن وافق الهوى أو الشهوة"، هو الإلتزام بكل سلوك خلقي يدعوا إلى مكارم الأخلاق، للظفر برضوان الله، واغتنام الأجر العظيم عنده، وتحذّر من معبّة ممارسة الرذائل الخلقية المحضورة.[478]

ومتى وصلت النفس إلى هذه التزكية، غدت صالحة لغرس فضائل الأخلاق فيها، ومتى تزكّت النفس وتهذبت طباعها، استقام السلوك الداخلي والخارجي لا محالة. [479]

المطلب الثاني: شهوات شاذة ترفضها الفطر والعقول السليمة

ويتناوله الباحثان في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول: الشهوة الشاذة: سلوك إرادي مذموم عند العقلاء، كالأخذ بالباطل أو الشر أو القبح، وترك الحق أو الخير، اتباعاً للهوى أو الشهوة، وبذلك تتميز الأخلاق الحميدة أو الذميمة عن غيرها، في استحسان أو استقباح ذلك السلوك الفردي أو الجماعي، باختلاف الأديان والمذاهب، وما يلحق من آثارها، فرعاً من فروعها.[480]

جبَل الله سبحانه الإنسان على الضعف، وحب الشهوات، والعجلة؛ قال جلّ وعلا: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً﴾[481]، وإنما "الضعف جاء من ناحية أن الإنسان أصبح مختاراً وخاصة في أمور التكليف، فالذي جعل فيه

---

(64) قطناني. (المرجع السابق) .بتصرف

(65) قطب، سيد ،في ظلال القرآن. آية 5سورة سبأ.

(66) القرآن.سبأ: 54:34

(67) القرآن.النمل: 27 : 55

(68) قطب، سيد ،في ظلال القرآن. آية 55 تفسير سورة النمل.

(69) القرآن.النحل: 57:16

الضعف جعله مختاراً يفعل كذا أو يفعل كذا؛ ولكل أمر مغرياته. ومغريات الشهوات حاضرة، ومغريات الطاعة مستقبلة فهو يغلب دائماً جانب الحاضر على جانب المستقبل."(482)،قال تعالى:﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾(483).

الفرع الثاني: مواضع الشهوات الشاذة و مآلات اتباعها في سياقات النص القرآني

معلوم أن المعاصي تزرع أمثالها ويولد بعضها بعض حتى يعز على المرء مفارقتها، فالذي يستغرق في الشهوات ولا يضبطها، وأخذ نصيبه منها في الدنيا، له المكافأة، بحرمانه من الإستمتاع بها في الآخرة.(484)

وأي حرمان أعظم من حرمان من يستغرق في شهوته، ويحيل بينه وبين ما يشتهي من الإيمان في غير موعده، وأي نجاة من الخطر والعذاب الذي يشهده و يواجهه.(485) قال تعالى :﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾(486)، وفي النظر إلى أخطر الشهوات التي ترفضها الفطر و العقول السليمة، والتي تصور الشذوذ الجنسي، والانتكاس لهذه الفطرة، في تركهم لما أحله الله لهم من الاستمتاع بالنساء في قوله تعالى :﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾(487)، يتبين إبراز شذوذ هذا الفعل الشنيع وغرابته لمألوف البشرية، ولمألوف الفطرة جميعا، في ميْل المسلمين عن الحقّ، والذي يميل هذا الميل عن الفطرة سفيه أحمق معتد على جميع الحقوق.(488) ومن نتائج هذا الشذوذ في اتباع الشهوات الشاذة التي مآلها خراب

---

(70) قطب، سيد ،في ظلال القرآن. آية 57 تفسير سورة النحل.

483 ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير (1413هـ/1993م، ج 142/1) أنَّه لما نزل قوله تعالى [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ] (الأنعام: 82) قالوا – الصَّحابة – أَيُّنا لم يظلم نفسه، وشق عليهم، فقال ρ: ليس بالذي تعنون. ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح – لقمان – [إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ] (لقمان: 13)؟ إنَّما هو الشرك. وأصل الحديث في البخاري (1422هـ/ 2002م) في كتاب الإيمان، باب: ظلم وتظلم، الحديث رقم 32 118/1. وفي قوله تعالى [وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُم إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ] (المؤمنون: 60) قالت عائشة: أهو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال ρ: لا يا بنت الصديق، ولكنَّهم الذين يصلون ويصومون وهم يخافون ألا يُقبل منهم (ابن كثير، ج 3 /24).

(484)أخرجه الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في الزهادة في الدنيا ، وقال عنه : حديث حسن غريب ، حيزت : جمعت 4/ 496 .

(1) انظر : أدب الدنيا والدين للماوردي ص 187 .

(*) وردت كلمة أمن وما يشتق منها في القرآن الكريم في أكثر من خمسمائة موضع .

(1) انظر : لسان العرب لابن منظور مادة أمن 140/1 وما بعدها ، القاموس المحيط للفيروز أبادي 194/4 وما بعدها ، المصباح المنير 29/1 ، مختار الصحاح ص26، معجم ألفاظ القرآن الكريم 55/1 .

(2) سورة النساء آية 83 .

الديار، في قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾[489]،صورة للتدمير الكامل الذي يقلب كل شيء ويغير المعالم ويمحوها، وهي أشبه بتلك الفطرة المقلوبة الهابطة المرتكسة من قمة الإنسان إلى درك الحيوان.[490]

خاتمة: نتائج الدراسة

وفي خاتمة الدراسة يعرض الباحثان أهم النتائج التي توصلت إليه آيات الشهوة في هذا المبحث بالآتي:

اهتم القرآن الكريم بتهذيب الشهوة منذ بداية الدعوة، وذلك لتطهير النفوس وتزكيتها في الدنيا لتنال رضا الله في الآخرة، وإلا فمصير متبع الشهوات الخسران إذا تحكمت به شهوته وانغمس بها.

الشهوات المذكورة في القرآن ثلاثة " النساء والبنين، والأموال بتفاصيلها"، وهي برأي الباحثين نماذج للشهوة، وإلا فهناك شهوات أخرى مثل: شهوة البطن وشهوة الجاه وشهوة السلطان وغيرها

تزين الشهوات كما هو طريق الى الآخرة فهو طريق في الدنيا، منها ما هو تزكية ومنها ما هو ابتلاء ومنها ما هو استمرارٌ للحياة وعمارة الأرض.

المسلم مطالب بضبط النفس عند مزاولة هذه الشهوات، حفاظاً على إنسانيته التي كرّمه الله بها.

---

(3) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي 291/5

(4) سورة الأنعام الآيتان 81 ، 82 .